المحاضرة الخامسة

الأستاذ عدنان فوضيل

مدارس الأدب المقارن: المدرسة العربيّة

تطرقنا في محاضراتنا السابقة إلى أنّ مفهوم المدرسة يعني توجه معين قائم على أسس ومبادئ تسير وفقها هذه المدرسة، وإذا ما أسقطنا هذا المفهوم على ما يسميه بعض الدارسين بالمدرسة العربية في الأدب المقارن، فإنّنا سنصطدم بعدم توافقه مع الحالة التي يوجد فيها هذا العلم.

يقول الباحثان يوسف بكار وخليل الشيخ إن «العرب لم يتمكنوا -كغيرهم- من أن يكونّوا لهم منهجا مقارنا/ أو مدرسة مقارنية من ثقافات المؤسسين فيها، تصدر عن مقومات "ايديولوجية" مستقلة بذاتها كغيرها من المناهج (أو المدارس) السالفة»[1] فالعرب -حسب رأيّهما- لم يتمكنوا من تأسيس مدرسة عربيّة مستقلة كبقية المدارس، لذلك يفضلان تسميتها بـ "منظور عربيّ للمقارنة"[2] وليس مدرسة أو منهج.

---

[1]- يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 89.

[2]- ينظر: م. ن، ص. ن.

منه فقد تأخر اهتمام العرب بالدّراسات الأدبيّة المقارنة، لذلك يرى بعض الباحثين أن العرب لم يتمكنوا من تأسيس مدرسة عربيّة مستقلة عن المدارس الأدبيّة المقارنة السابقة، فلم تعد من مجرد نقل وتطبيق لأسس المدارس المعروفة خاصة الفرنسية والأمريكية.

يقول سعيد علوش أنه «ينبغي تحفظنا على استعمال تسمية المدرسة العربيّة، من كون هاته المدرسة، لم تستطع الاستقلال بذاتيتها نهائيا. بل يستغرقها هم الترويج والدعاية للدرس، كما لو كان درسا غربيا تجب الدعوة إلى تبنيه عربيا، قبل ارتباطه باللّون القومي العربي»[1]. لم تستطع المدرسة العربيّة إذن الانفصال عن المدارس السابقة – المدرسة الفرنسيّة والمدرسة الأمريكيّة- وذلك راجع إلى الأسباب التاليّة[2]:

أ- جدّة هذا اللّون من الأدب على العرب؛

ب- الانبهار بتاريخية المنهج الفرنسي خاصة والآداب الغربية عامة؛

ج-عدم التواصل – في الأغلب- بين المقارنين العرب أو تجاهلهم لبعضهم؛

د- طبيعة الجامعات العربية وحال الدرس الأدبي فيها؛

---

[1] – سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية، ص 159.

[2] – يوسف بكار وخليل الشيخ: م. س، ص . ن.

ه- بعض الإشكالات الثقافيّة والاجتماعيّة.

تقتدي بهذا المدرسة العربيّة بالمدرسة الفرنسيّة، إذ نجدها تبحث عن الصلات التاريخيّة بين الآداب القوميّة كالمدرسة الفرنسيّة التاريخيّة. منه فإنّ « غالبية الدراسات المقارنة العربية تحديدا تستلهم وتهتدي بالمدرسة الفرنسيّة، فإن أهمية الصلات التاريخيّة ما بين الآداب القومية تبقى مهمة في الأدب والدّراسة الأدبيّة عموما»[3]

وقد حاول الدارسون تتبع مسيرة الدّراسات الأدبيّة المقارنة العربيّة، فقسموها إلى أربعة مراحل:

1- **الأولى**: وهي عبارة عن محاولات حول دراسة الأدب المقارن، تدل على اهتمام العرب بهذا الفرع الجديد، رغم أنها لم تقم على أساس علميّ منهجيّ إلا أن لها قيمة في إبراز الدّراسات المقارنة العربيّة، لأنّها هي التي لفتت أنظار الدارسين إلى هذا المجال الجديد. ويمثّل هذه المرحلة "رفاعة الطهطاوي" الذي سافر مع البعثات الطلابيّة إلى فرنسا كواعظ ديني، فألف بعد اطلاعه على الحضارة الغربية كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريس" وهو عبارة عن مقارنة شكليّة سطحية بين الثقافة الشرقيّة والغربيّة. كما نجد أيضا "سليمان البستاني" الذي ترجم إلياذة

[3] - نجم عبد الله كاظم: في الأدب المقارن – مقدمات للتطبيق، ص 10.

هوميروس شعرا من اليونانيّة إلى العربيّة، وفيها تتبع فن الملاحم في الآداب العالمية، وقارن بين الصوّر الشّعريّة في الإلياذة وما يماثّلها في الشّعر العربيّ[4].

من جانب آخر نجد أيضا "روحي الخالدي" في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هيجو" وفيه تناول تأثر شعراء التروبادور بالشّعر العربي في الأندلس، وقصص الحيوان بين الأدب العربي والآداب الشّرقية الغربية. أما "قسطاكي الحمصي" في كتابه "المنهل الوارد في علم الانتقاد" فقد وازن فيه بين "الكوميديا الإلهية" أو "الألعوبة الإلهية" كما يسميها لدانتي و"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري. كما نشر "نخري أبو سعود" مقالاته في مجلة الرسالة تتحدث عن الظواهر المتماثلة في الأدبين العربي والانجليزي[3]. كما نجد أيضا إلى جانب هؤلاء "أديب اسحاق" و"أحمد فارس الشدياق" و"أمين الريحاني" "وعلي مبارك" و"أحمد ضيف"...[4]

2- المرحلة الثانية: التأسيس (1948 – 1960): وقد برز في هذه المرحلة بعض المقارنين ساهموا بتأليف يحمل اسم الدرس المقارن. فقد ظهر كتابين في سنة

---

[4] – ينظر: – على عشرى زايد: الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي، ص 14 – 20.

[3]– ينظر: علي عشرى زايد: م. س، ص 09 – 26.

[4]– ينظر: يوسف بكار وخليل الشيخ: م. س، ص 89.

واحدة 1948 وهما: كتاب "نجيب العقيقي" وكتاب "عبد الرزاق حميدة"، وفي سنة 1951 ظهر كتاب "إبراهيم سلامة" بعنوان "دراسات في الأدب المقارن"[1].

ويمكن لنا «التأريخ للبداية الحقيقية للدراسات الأدبية العلمية المقارنة في اللغة العربية بأوائل الخمسينات عقب عودة الدكتور "محمد غنيمي هلال" رائد الدّراسات الأدبيّة المقارنة في العربيّة من بعثته إلى فرنسا لدراسة الأدب المقارن بعد حصوله على درجة الدكتوراه في هذا المجال، وقيامه فور عودته بتدريس مادة الأدب المقارن لطلاب كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكلية الآداب بجامعة عين شمس، ثم إصدار الطبعة الأولى لكتابه الرائد "الأدب المقارن"... الذي يحدّد فيه بدقّة الأسس العلميّة لنظرية الأدب المقارن كما تبلورت هذه الأسس على يد المدرسة الفرنسية التي تتلمذ الدكتور غنيمي هلال على واحد من كبار أعلامها وهو الأستاذ جان ماري كاريه»[5] يعد محمد غنيمي هلال -إذن- الرائد المنهجيّ للأدب المقارن، وقد كان من أتباع المدرسة الفرنسيّة التاريخيّة.

3- المرحلة الثالثة: مرحلة الترويج (1960 - 1970): ظهرت في هذه المرحلة مجلتان متخصصتان في الأدب المقارن، ظهرت المجلة الأولى في لبنان من

---

[1]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن - دراسة منهجية، ص201- 207.

[5]- على عشرى زايد: الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي، ص 05 - 46.

1966 إلى 1967 بعنوان "الدّراسات الأدبية" بإشراف "محمد محمدي" وكانت تصدر باللّغتين العربيّة والفارسيّة، مقتدية بالمنهج الفرنسيّ. أما المجلة الثانية فهي بعنوان "الدفاتر الجزائريّة للأدب المقارن" من 1967 إلى 1968 باللّغة الفرنسيّة، يديرها "جمال الدين بن الشيخ" المقيم في فرنسا. كما ظهر في هذه المرحلة كتاب "محمد عبد المنعم خفاجة" وكتاب "حسن جاد حسن"، ولكلّ منهما كتاب عنوانه "الأدب المقارن"[6].

4- المرحلة الرابعة: مرحلة عقد الرشد (1970 إلى الآن): وهي أخصب المراحل جميعا، وتتسم بـ[7]:

أ- الالتفات الأعمق والأوسع إلى المنهج الأمريكي في الأدب المقارن، والتبشير النظري بمبادئه؛

ب- زيادة الاهتمام بالدّراسات المقارنة بين العربيّة والفارسيّة والتأليف فيها، أمثال: "حسين علي محفوظ" و"محمد التونجي"، و"طه ندا"، و"بديع جمعة"...

---

[6]- ينظر: - يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 91 – 92.
- سعيد علوش: م. س، ص 225.

[7] - ينظر: يوسف بكار وخليل الشيخ: م. س، ص 92.

ج- ازدياد التوجه نحو الدّراسات العربيّة الغربيّة، مثل دراسات "ريمون طحان" و"حسام الخطيب" و"سعيد علوش" و"أحمد درويش" و"الطاهر أحمد مكي"...

ومما يمكن استخلاصه من هذا هو التفات الدارسين في هذه المرحلة إلى المدرسة الأمريكيّة، ومنهم "محمد عبد السلام كفافي"، الذي لم يقتصر على اعتماد ميراث المدرسة الفرنسيّة وحدها، بل وعيه وتبنيه لميراث المدرسة الأمريكيّة[1] التي تهتم بعلاقة الأدب بمختلف الفنون والعلوم.

من كل ما تقدم فقد تطور الأدب المقارن تطورا محسوسا، ومن أبرز تطوراته «تأسيس الرابطة العربية للأدب المقارن، عام 1983 ومقرها مدينة "عنابة" الجزائرية، وقد عقدت ثلاثة مؤتمرات: الأول بعنابة عام 1984، والثاني بدمشق عام 1986، والأخير بمراكش عام 1989. ولم تبخل بعض المجلات العربية في إصدار أعداد خاصة بالأدب المقارن، وهي "فصول" المصرية، و"عالم الفكر" الكويتية، و"المعرفة" و"الموقف الأدبي"...»[2].

---

[1] – ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية، ص 250 .

[2]– يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 92 – 93.

تجدر الإشارة إلى أنّ المدرسة العربيّة قد اتبعت في الأوّل مبادئ وأسس المدرسة الفرنسيّة، وفي مرحلة عقد الرشد التفتت إلى المدرسة الأمريكيّة... لكن معظم المقارنين العرب لم يستطيعوا تجاوز مبادئ المدرسة الفرنسيّة[3] المتمثّلة في التركيز على الصلات التاريخيّة، وعلى ثنائية التأثير والتأثر.

[3] – ينظر: سعيد علوش: م. س، ص 166 – 167.